

الفصل التاسع

الشعر إلى آخر بني أمية

١ - إلى عبد العزيز بن مروان :

لعلك تحس بشيء من العجب إذ ترى الشعر متخلفاً عن ركب العرب الذين
جاءوا إلى مصر فاتحين ؛ فليس في آثار القوم الأدبية شيء من الشعر في وصف
فتوحهم العظيمة ، وليس فيما عندنا مقطوعة منه يفخرون فيها بهذه الفتوح ،
ولا قصيدة يذكرون فيها شيئاً صادفهم ؛ مما يلفت النظر ، ويشير الخيال ، وييمت
وييمت الدهش . وما أكثر ما صادفهم من ذلك في هذه البلاد !
ولا أظن أن جيش هؤلاء الفاتحين خلا من شعراء تهزم غرابة الحوادث ،
أو يفتنهم جمال المناظر ، أو يشوقهم ما خلفوا وراءهم من أحباب وأوطان وذكريات .
فما الذي جعل الأدب العربي في مصر إلى عهد معاوية خالياً من آثار الشعر ، لا نجد
منه قصيدة أو مقطوعة ؟ وما نجده إلى عهد عبد العزيز قليل جداً ؟

قد يرجع ذلك إلى ما أصاب الشعر العربي كله من فتور وضعف في صدر
الإسلام ؛ إذ شغل المسلمون بالدين وبالفتوح ، وبما يناسبهما من دراسة وخطابة
وكتابة . ولكن الدين والفتوح لا يحاربان الشعر في جلته ، ولا يقضيان عليه
من حيث هو شعر ، بل إن في الدين والفتح قوة عظيمة تدفع إلى الشعر ، وتحمل على
الإجادة فيه ، ولكن الذي حدث فعلاً أن أصيب الشعر العربي بذهول وفتور من
أول الإسلام إلى عهد الأمويين تقريباً ، على أنه ظل محتفظاً بشيء من السلامة

والعافية في بيئته العربية ؛ في الحجاز ، وفي بعض الأماكن التي نزلها العرب كالعراق والشام . وكان هناك من يحتفظ بشاعريته ، ويحاول أن يثبت وجودها بين حين وحين ؛ مثل حسان ، وأبي محجن الثقفي ، والحطيئة وغيرهم . لكن الظروف التي هيأت للشعر أن يحيا حياة طيبة في الجاهلية ، وفي عهد بني أمية ، لم تتوفر في تلك السنين التي بينهما .

ولا أظن هذه الفترة في تاريخ مصر ، من عهد عمرو إلى عبد العزيز بن مروان ، قد أقفرت من شعراء سجلوا خواطرهم ومشاعرهم ؛ في زمن الفتح ، وفي الثورة على عثمان ، وفي النزاع بين علي ومعاوية ، وفي عهد الدولة السفينية . وقد نسب إلى عمرو نفسه أنه كان يقول الشعر ، وأن نفسه كانت نفس شاعر ، وكذلك كان أسلوبه . وكان عقبة بن عامر والي مصر لمعاوية سنة ٤٤ « قارئاً فقيهاً شاعراً ، له الهجرة والصحبة^(١) » ، ولكنه لم يخلف بيتاً واحداً ، وربما منعه من قول الشعر بالفسطاط ، ما منع لبيداً قبله بالكوفة ، لأن الله قد أبد لهم خيراً منه وهو القرآن .

وأياً ما كان فإن رواية الشعر في مصر كانت قليلة ، وكان للرواة مواطن أشهى وأعمر من مصر . فلم يبق من هذه الفترة إلا أبيات قليلة نسبت إلى شعراء مغمورين .

وقد تجد بيتاً أو بيتين أو ثلاثة ، تجهل قائلها ، أو تضل في قراءتها ، ويخفى عليك معناها لانفرادها ، أو لنموض الظرف الذي أحاط بها .

وبقي من هذا القليل المفهوم بيت رجز أو بيتان ، من العهد الأول :
فقد غزا عبد الله بن سعد الأسود حتى بلغ دُمُقْلَةَ سنة ٣١ فقاتلهم قتالاً شديداً ، وهادنهم بعد ذلك ، فقال شاعرهم :

لم تر عيني مثل يومٍ دُمُقْلَةَ والخيلُ تمدو بالدروعِ مُمُقْلَةَ^(٢)

(١) الولاية والقضاء ص ٣٧ . (٢) الولاية والقضاء ص ١٢ .

ويروى أن جماعة المصريين الذين كانوا بالمدينة في فتنة عثمان ، انصرفوا إلى مصر . فلما دخلوا الفسطاط ارتجز مرتجزهم :

خذها إليك واحذرَنَّ أبا حَسَنٍ إنا نُحْمِرُ الحربَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ
بالسيفِ كى نُخَمِدَ نيرانَ الفتنِ^(١)

ولما دخلوا المسجد صاحوا : إنا لسنا قتلنا عثمان ، ولكن الله قتله ، فلما رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا ل معاوية بن حُديج عليهم وبايعوه .

ومن هؤلاء الشعراء المغمورين رجل يقال له أبو المصعب البلوى ، وله قصيدة يهجو فيها بعض رجالات العرب في مصر ، وكان معاوية كلما قدم عليه رجل سأله أن ينشده إياها . وليس فيها ما يستحق الوقوف عنده إلا الشتم^(٢) .

ولو فهمناها على أنها من الشعر السياسي الذي يتخذ الهجاء صورة له ، عرفنا السر في إعجاب معاوية بها ، وسؤاله كل قادم من مصر أن ينشدها ، ومنها :

وليس بما جِدَ الجَدَّاتِ قيس^(٣) ولكن حَضْرَمِيَّاتِ قِماءَ
وأعرضَ نَفْحَه اليَرْبُوعُ عني يزيد^(٤) بعد ما رُفِعَ اللِّواءُ
أشارَ بكفه اليمنى وكانت شمالاً لا يَجُوزُ لها عطاءُ
أَكَلَمُ عائِداً^(٥) ويصد عني ويمنِّعُه السلامَ الكبرياءُ
وجُرِّفَ قد تَهْدَمُ جانباه كَرِيب^(٦) ، ذاكم البرمُ العيَاءُ

(١) الولاية والقضاة ص ١٨ .

(٢) رواها ابن عبد الحكم في « فتوح مصر » ص ١٢٣ .

(٣) قيس بن كليب ، كان حاجب عمرو بن العاص ، وصار حاجباً لعبد العزيز .

مهوان بعد ذلك .

(٤) يزيد بن شرحبيل بن حسنة . والنفع = العطاء .

(٥) عائذ بن نعلبة البلوى ، قتل بالبرلس في حرب مع الروم سنة ٥٣ هـ .

(٦) كريب بن أبرهة بن الصباح ، وكان من رجالات مصر في ذلك العهد .

وأما القحزى^(٢) فذاك بطل أضرب به مع الدبر الحفاء
ولهذا الشاعر قصيدة أخرى مدح فيها عبد الرحمن بن قيسية بن كلثوم
التجيبى ، الذى وهب أبوه داره لتكون مسجداً بالفسطاط . وبقى من هذه
القصيدة قول أبي المصعب لعبد الرحمن :

وأبوك سلم داره وأباحها
لحباه قوم رُكعٍ وسُجود^(٣)
ولا يعرف عن قائل هاتين القصيدتين إلا اسمه وكنيته . فاسمه قيس بن سلمة
وكنيته أبو المصعب . ولا ندرى إن كان جاء إلى مصر مادحا أو مقيما .
وقال شاعر آخر اسمه أبو قبان بن نعيم التجيبى ، مفتخراً بفتح بابليون ،
ومادحا فعل قيسية بن كلثوم ، فى تصدقه بداره لتكون مسجداً :

وبابليون قد سعدنا بفتحها
وحزنا، لعمر الله، فيثاومنا
وقيسية الخير بن كلثوم، داره
أباح حماها للصلاة وسلما
فكل مُصلِّ في فنانا صلاته
تعارف أهل المصر ماقلت، فاعلما^(٣)
فا الذى يدل عليه مدح شاعرين لهذا المتبرع ؟ إنه يدل على تعدد الشعراء ،
وعلى أهمية بناء مسجد فى ذلك الوقت ، ويدل على منزلة هذا المتبرع ، وقد ذكر
المقريزى أن المسجد الذى بنى مكان دار قيسية هو مسجد عمرو ، أو المسجد الجامع
وهو أول مسجد بنى بمصر فى الإسلام .

وأمر معاوية واليه مسلمة بن مخلد فى سنة ٥٣ بالزيادة فى المسجد الجامع ،
فهدم ما كان عمرو بناه وبنى آخر ؛ وأمر بابتناء منار المساجد كلها ، وهو أول من
فعل ذلك .

(١) القحزى هو عمرو بن فحزم الخولانى ، كان من شيعة عثمان .
(٢ ، ٣) خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٤٦ ، اسم المدوح « قيسية » فى بعض الروايات

وقال رجل يسمى عابد بن هشام الأزدي يذكر فعل مسلة ويمدحه (١) :

لقد مَدَّتْ لِمَسْلَةِ اللَّيَالِي على رغم العُدَاة مع الأمانِ
وساعده الزمان بكل سعد وبَلَّغَهُ البعيدَ من الأمانِ
أَمْسَلَمَ فارتقى ، لازلت تعلقو على الأيام ، مَسَلَمَ ، والزمانِ
لقد أَحْكَمْتَ مسجدنا فأضحى كأحسن ما يكون من المباني
فَتَاءَ به البلادُ وساكنوها كما تاهت بزيتها الغواني
كأن تجاوب الأصوات فيه إذا ما الليل ألقى بالجيرانِ
كصوت الرعد خالطه دوى وأرعب كل مختطف الجنانِ

وليس في أسلوب هذه الأبيات الخمسة الأولى ، ولا عباراتها ، ما يصلها بالشعر الجيد في ذلك العهد ، لأنها مهلهلة ؛ ليس فيها شيء من جزالة الشعر عندئذ ، بل إن روح الضعف البادي فيها تجعلها شبيهة بمؤرخ - لا شاعر - قالها بعد ذلك بقرون . وكيف تنسب قوله : « فأضحى كأحسن ما يكون من المباني » - على جدته وحدائه تركيبه - إلى عهد معاوية ؟ وكيف نجعل « تيه البلاد وساكنيها بالمسجد مثل تيه الغواني بزيتها » شبيها بذلك العصر ؟

ولكن هكذا روى الشعر وهكذا نسب .

ولما قدم مروان بن الحكم على مصر ، أجمع أهل البلاد على رده عنهم ، وكان عليهم عبد الرحمن بن جحدم عامل ابن الزبير ، وهو الذي حفر خندقا حول القسطنطين سنة ٦٤ في شهر واحد ، فقال شاعر يعرف بابن أبي زمرمة الحسني :

وما الجرد إلا جدُّ ابن جحدم وما العزم إلا عزمه يوم خندقِ

ثلاثون ألفاً هم أناروا تراه وخدوة في شهر ، حديثُ مصدق (١)

وسارت ثلاثة جيوش لرد مروان ؛

أحدها في البحر وعليه الأكدري بن حمام فنزل عاصف بالمراكب ففرقها ، ونجا أميرها وعاد إلى الفسطاط (٢) .

وأما الجيش الثاني فكان برياً ، وعليه السائب بن هشام بن كنانة العاصري ؛ فأخبر رُوْح بن زُبَيع أميره مروان أن للسائب ابناً مسترضماً في فلسطين ؛ فأخذه . فلما التقى الجمعان أبرز مروان الصبي ، وقال : أتعرف هذا يا سائب ؟ قال : هذا ابني ! قال : نعم ، فوالله لئن لم ترجع عودك على بدئك لأرميتك برأسه . فرجع بجيشه ولم يقاتل .

وكان الجيش الثالث برياً أيضاً ، وعليه زهير بن قيس البلوي ، ووجهته « أيلة » ليمنع عبد العزيز من السير إليها ، فالتقيا « ببصاق » وهي سطح عقبة أيلة ، فهزيم زهير ، ومن الغريب أنه قال لعبد العزيز مادحاً :

مَنْعَتْ بُبْصَاقًا وَالْبِطَاحَ فَلَمْ تُرَمَّ بِطَاحُكَ لِمَا أَنْ حَمِيَتْ ذِمَارُكَ
قَسَرْتَ الْأُتَى وَلَوْ أَعْنِ الْأَمْرَ بَعْدَمَا أَرَادُوا عَلَيْهِ ، فَأَعْلَمَنَّ ، اقْتَسَارُكَ

وسار مروان حتى نزل عين شمس ، فخرج إليه ابن جحدم ، فتحاربوا يوماً أو يومين . ثم رجع المصريون إلى خندقهم ، فصُفِّقوا عليه ، فكانت تلك الأيام تسمى أيام « الخندق » ، والتراويح « لأن أهل مصر كانوا يقاتلون نوباً ، يخرج هؤلاء ثم يرجعون ، ثم يخرج غيرهم ، واستحرق القتل في المعافر فقتل منهم جمع ، وقتل كثير من أهل القبائل من مصر ، وقتل من أهل الشام جمع كثير . قال عبد الرحمن بن الحكم (٣) :

(١) الولاية والفضاء ص ٤٢ ، خدوه = شقوه .

(٢) ص ٤٤

(٣) ص ٤٣

ألا هل آتاهما على نأبها
بلغنا بفيلقَ يغشى الظرابَ
وجاشت لنا الأرض من نحوهم
وأحياءٍ مَذْحِجَ ، والأشعرينَ
وسدت مَعَاظِرَ أفق البلاد
ونادى الكَمَامَةَ : ألا فابرزوا
فلو كنت ، رَمْلَةٌ ، شاهدتِه

نَبَأُ التروايحِ والخندقِ
بميدِ السمو لمن يرتقى
بِحَيِّ مُجِيبٍ ومن غافقِ
وحميرِ كاللهبِ المحرقِ
بمُرْعِيدِ جيشِ لها مُبْرِقِ
فخِطَامِ ، حتى ، ولا نلتقى
تمنيتِ أنكِ لم تخلقى

وبايع الناس لروان إلا المَعَاظِرَ ، فقتل عدداً كبيراً منهم ، وقتل الأَكْدَرُ ابن حمام في جمادى الآخرة سنة ٦٥ ، وكان سيد نخم وشيخها ، وممن حضر فتح مصر هو وأبوه ، وكانا ممن سار إلى عثمان . ومات في اليوم نفسه عبد الله بن عمرو ابن العاص ، فلم يستطع الخروج بجنازته لتشغب الجند على مروان بسبب قتل الأَكْدَرِ ، فدفن عبد الله في داره ، وقال زياد بن قائد اللخمي يرثي الأَكْدَرَ (١) :

كما لقيت نخمُ ما ساءها
هو السيف أجرداً من غمده
فلهني عليك غداة الردى
وأنت الأسيرُ بلا منعة

بأَكْدَرَ ، لا يَبْعَدُنْ أَكْدَرُ
فلاقِ النايَا وما يشعُرُ
وقد ضاق وِرْدُكَ والصدرُ
وما كان مثلك يَسْتَأْسِرُ

هذه الأبيات القليلة التي جاءتنا من شعر ذلك العصر ، فيها الهجاء والفخر والرثاء والمدح والوصف ، ولكنها لا تصلح أساساً للحكم على الشعر عندئذ ، لقلتها ، ولما أصاب بعضها من تحريف جعل من المسير قراءته وفهمه فهماً صحيحاً .

(ب) عبد العزيز بن مروان :

إذا كان للشعر بواعث تثيره ، وعوامل تدعو إليه ، وظروف ترغب في الرحلة به ، ومزايا تشجع على روايته ، فقد تحققت هذه في زمن عبد العزيز بن مروان .
ولى عبد العزيز أمر هذه البلاد لأبيه ، ولأخيه عبد الملك ، أكثر من عشرين عاماً (سنة ٦٥ — ٨٦) ، وفي عهده الطويل ازدهر الشعر ، ووفد الشعراء لمدحه وسنرى أن شخصية عبد العزيز وصفاته ، كانت من أكبر الأسباب التي جعلت مصر في أيامه قبلة كثير من الشعراء ، ومطمع عدد من المادحين . وكان الذين قصدوا مصر لمدحه ، أكبر عدداً ممن وفدوا عليها من الشعراء في أى عهد آخر ، ولا نعرف والياً غيره طال عهده في البلاد كما طال عهد عبد العزيز ، مع العناية بالأدب والرواية ، والاهتمام بالمدح ووفادة الشعراء .

وكان قصره في مصر شبيهاً بقصر أخويه ، عبد الملك في دمشق ، وبشر في العراق . فكانت قصورهم مثابة الشعراء ومنتدى الأدباء ، وكانت لهم فيها مجالس يُسَقَوْنَ فيها من رحيق الأدب العربي ألذ ، ويسمعون من موسيقاه أحلاها ، ويستمتعون من نوادره بأعجبها ، ولهم فيه النقد القيم ، والتوجيه الحسن .

ولا ننسى أن عبد العزيز كان ولى عهد الدولة ، وكانت الآمال معلقة به بمد عبد الملك ، وكان له في مصر نعيم وملك كبير .

ومن الذين وفدوا عليه بمصر :

١ — أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ :

وهو شاعر من الذين كثر تقلبهم في البلاد ، وتقلبهم في العقيدة . فقد كان

أيمن شيعياً ، ثم تولى آل الزبير ، ثم انقلب أموياً ، ووالى عبد العزيز ، ثم مال عنه إلى بشر .

وقد جاء إلى مصر غاضباً من يحيى بن الحكم ، عم عبد العزيز ؛ كما خرج منها غاضباً ، لأن عبد العزيز فضل عليه شاعراً آخر ، هو نصيب بن رباح .

كان مجيئه إلى مصر لمدح عبد العزيز ، ومن شعره فيه ^(١) :

لا يرغِبُ الناسُ أن يمدِّلوا بعبد العزيزِ بنِ ليلى أميرا

ترى قِدرَه مُملِنًا بالفِئاءِ يَلقَمُ بعدَ الجُزُورِ الجُزُورًا

وهو شعر عربي في لفظه ومعناه ؛ فقد مدح عبد العزيز بما جرت به العادة ، إذ مدحه بالكرم ، وإطعام الطعام . وبمحببة الناس له ، حتى ما يرغبون أن يعدلوا به أميرا . وهو مدح هادي ، معتدل ، لا مبالغة فيه ولا إسراف .

أما نسبة عبد العزيز إلى أمه فهي نسبة كان يحبها ، ويحب أن يراعيها الشعراء في مدحهم له ، كما كان معاوية يحب هذه النسبة لشرف أمه . وما أباه عبد الملك في مدح ابن قيس الرقيات له إلا لسبب آخر ، إذ أضاف الشاعر عبد الملك إلى « بطن عائشة » أمه ، فكره عبد الملك أن يتحدث عن بطن أمه في الشعر .

وإذا أردنا أن نعرف منزلة أيمن عند عبد العزيز بن مروان فعلينا أن نقص بعض أخبار نصيب في مصر ، فإن لأيمن دوراً كبيراً فيها ، وكانت ذات أثر خالد في حياته ، إذ قطعت صلته بعبد العزيز وبمصر .

روى الأغاني وفادة نصيب على عبد العزيز بروايات مختلفة ، تجمع كلها على أنه لقي أيمن عنده ، ونكتفي منها بما روى في ترجمة أيمن نفسه ، قال أبو الفرج ^(٢) :
« دخل نصيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان ، فأنشده قصيدة له امتدحه بها

(١) الولاية والقضاء ص ٥٢ وأول المدح هناك « لا يرهب » وهو تحريف

(٢) ج ٢١ ص ٧

فأعجبتة ؛ وأقبل على أيمن بن خريم فقال : كيف ترى شعر مولاي هذا ؟ قال :
هو أشعر أهل جلدته . فقال : هو أشعر والله منك ! قال : أمسني أيها الأمير ؟
فقال : إي والله . قال : لا والله ، ولكنك طريفٌ مَلُول . فقال له : لو كنتُ
كذلك ما صبرتُ على مؤاكلتك منذ سنة ، وبك من البرص ما بك . فقال :
أئذن لي أيها الأمير في الانصراف . قال : ذلك إليك . فمضى لوجهه حتى لحق
ببشر بن مروان ، وقال :

رَكبت من المقطم في مُجَادى إلى بشر بن مروان البريدا «

ومدح بشراً بأبيات ختمها بقوله :

« كأن التاج تاجَ أبي هِرْقِيلِ جَلوه لأعظم الأيام عيدا

يخالف لونه ديباجَ بشر إذا الألوانُ خالفت الحدودا «

يعرض بنَمَشٍ كان بوجه عبد العزيز ، فقبله بشر بن مروان ووصله ، ولم
يزل أثيراً عنده .

ونرى أنفسنا في هذه القصة أمام شاعر يفد على عبد العزيز ، فيقيم عنده عاما
كاملا ، يجالسه ويؤاكله ، على الرغم من مرضه ، وتلك منزلة عالية نزلها أيمن
بشعره ، ولا أدري مبلغ ما أخذ من المال ، ولا عدد القصائد التي قالها في مدح
عبد العزيز في ذلك العام ؛ ولا التي وفد بها إلى مصر . ولا ما أنشد وروى من
أدب في مجالس عبد العزيز ، ولا ما كان له من فضل في تأييد سياسته والثناء
على أفعاله .

ونجد أنفسنا أمام شاعرٍ مُدِلٍّ بمنزلته عند الأمير ، جرىء عليه ، لا يخشى
أن يخالفه في الحكم على نصيب ، ولا أن يرد عليه رداً جافياً ، ولا أن يترك بلدته
سريعاً حينما أحس أنها نَسَبَتْ به ، وأن جوار عبد العزيز لم يعد خصباً ممرعاً له
وحده ؛ فاستأذن في الرحلة إلى العراق ، واثقاً أنه سيجد باباً آخر يأتيه منه الرزق

رغداً ، والمطاء جزيلاً .

ونجد أنفسنا أمام شاعر يخشى النافسة ويحسب لها حساباً ، فيحاول أن يفض من قدر نصيب وإن رفعه الأمير ؛ إذ كان يتوقع تقدم منزلته ، وتقدير الأمير لشعره ؛ لما عليه الأمير من علم بالشعر ، ولما في شعر نصيب من جمال ، وما فيه من ولاء وإخلاص .

وكان ما توقعه أيمن صحيحاً فقد عظمت منزلة نصيب فيما بعد ، وتركه أيمن لنا نتحدث عنه فيمن قدموا مصر لمدح عبد العزيز .

٢ - نُصَيْبُ بْنُ رَبَاحٍ .

اتفق الرواة على أنه كان عبداً أسود ، وأنه كان مولى لبعض بني كنانة ، وأنه وفد على عبد العزيز بن مروان بمصر ، فمدحه وصار مولى له .

ولكنهم يختلفون في تفصيل ذلك اختلافاً لا ينقض شيئاً مما تقدم ؛ فيختلفون فيمن أعتقه ، وفي زمن وفادته على عبد العزيز وأسبابها . وقد تقدم أنه لقي أيمن ابن خريم في مجلس عبد العزيز ، وأن أيمن نقضه قيمته عند ما علم أنه شاعر . وجيئته إلى مصر لا يخلو من قصص تشبه قصص المناصرات أحياناً ، وأول هذه وأقربها إلى الصواب ما يأتي :

كان نصيب يقول الشعر فيمجبه ، ثم عرض بعض شعره على مشيخة من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة - وهم مواليه - ونسب بعض ما قاله إلى شعراء الجاهلية فأعجب به مواليه ، وقالوا : « هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشعر ! » فأخبرهم أنه شعره ، فشجموه على الرحلة به إلى مصر لمدح عبد العزيز . ثم عرف أخته أنه شاعر ، وأنه سيقصد عبد العزيز بمصر لمدحه ، عسى أن يكون على يديه عتقه ، وعتق أمه وأخته ، ومن كان مرفوقاً من أهل قرابته . فقالت أخته : « إنا لله وإنا إليه راجعون ! يابن أمّ ، أجمع عليك الخصلتان : السواد وأن تكون ضحكة للناس » .

قال : قد قلتُ فاسمى ، فأنشدها فسمعتُ ، « فقالت بأبي أنت ! أحسنتَ
والله ! في هذا والله رجاء عظيم ؛ فاخرج على بركة الله » ، فخرج على قَمُود له
حتى قدم المدينة ، فلقى الفرزدق بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض
عليه شعره ، فقال له الفرزدق : « ويحك ! أهذا شعرك الذي تطلب به الملوك !
إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل » فتدفق عَرَقٌ نُصَيْبٌ . وسمع
إنشاده وما قاله الفرزدق ، رجل من قريش كان قريبا فحصبه ، فذهب إليه نصيب
فقال له القرشي : « ويحك ! أهذا شعرك الذي أنشدته الفرزدق ؟ » فقال نعم ، فقال
القرشي : « قد والله أصبت ، والله إن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك . فإنا
لنعرف محاسن الشعر ، فامض لوجهك ولا يكسر نك » .

فسره قوله وأعانه على المضي ، قال : « فقدمت مصر وبها عبدالعزیز بن مروان ،
فحضرت بابه مع الناس فنُجِّيتُ عن مجلس الوجوه ، فكنت وراءهم ، ورأيت
رجلا جاء عنى بغلة ، حسن الشارة سهل المدخل يؤذن له إذا جاء ، فلما انصرف
إلى منزله انصرفت معه أماشى بغلته ، فلما رأني قال : ألك حاجة ؟ قلت نعم ، أنا
رجل من أهل الحجاز شاعر ، وقد مدحت الأمير وخرجت إليه راجياً معروفه »
فاستنشده الرجل ، فأنشده ، فقال له : « ويحك ! أهذا شعرك ؟ فإياك أن تنتحل ،
فإن الأمير راوية عالم بالشعر ، وعنده رواة ؛ فلا تفضحنى ونفساك » . وطلب منه
أن يقول أبياتاً يذكر فيها خوف مصر وفضلها على غيرها ؛ ففعل ، ولقيه من
غده فأنشده :

سَرَى أَلْهَمُ تَنْبِيئِي إِلَيْكَ طَلَائِمُهُ بِمَصْرِ وَبِالْحَوْفِ اعْتَرَتْنِي رَوَائِمُهُ
وَبَاتِ وَسَادِي سَاعِدٌ قَلَّ لِحْمُهُ عَنِ الْعِظَمِ حَتَّى كَادَ تَبْدُو أَشَاجِمُهُ

ثم وصف الغيث بعد هذين البيتين اللذين لا يصلحها بمصر إلا ورود اسمها
واسم خوفها فيهما ، ولكنه أجاد في وصف الغيث .

فلما أتمها قال له الرجل : « أنت والله شاعر ! احضر حتى أذكرك للأمير .
قال فجلست على الباب ودخل ، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دُعيتُ بي ،
فدخلت فسلمت على عبد العزيز ، فصعد في بصره وصوب ، ثم قال : أنت
شاعر ! ويلك ! » .

واستنشده شعراً فأنشده ، فأعجب به عبد العزيز ، واستأذن الحاجب لأيمن
ابن خريم ، ولما اطمان سأله الأمير أن يُقَوِّمَ نصيباً ، فقال : والله لنعم الغادي
في أثر المحاض ، وقومه بمائة دينار ، فلما علم أنه شاعر نقص قدره إلى ثلاثين
ديناراً . وتستمر القصة بعد ذلك كما تقدمت في الكلام على أيمن مع فرق يسير
في التعبير (١)

وفي رواية أخرى أن عبد الله بن أبي فروة أول من نوه باسم نصيب . وقدم به
على عبد العزيز بن مروان ، « وهو وصيف حين بلغ ، وأول ما قال الشعر » ، فلما
أعجب عبد العزيز بشعره قال : « إذا دعوت بالغداء فأدخلوه علي في جبة صوف ،
محترماً بمقال ، فإذا قلت قوموه فقوموه وأخرجوه ، وردوه علي في جبة وشي ،
ورداء وشي » ففعلوا ، وكان أيمن حاضراً هذا المجلس ، فنقص قيمته حين أخبر أنه
شاعر ، فكان بين الأمير وبينه ما تقدم .

وتنتهي هذه الرواية بأن أيمن جاز بعبد الملك في طريقه إلى بشر ، فقال له :
أين تريد ؟ فقال أريد أخاك بشراً . قال : أتجوزني ! قال : إي والله أجوزك إلى من
قدم إلى وطلبني ، قال : فلم فارقت صاحبك ؟ قال : رأيتكم يا بني مروان تتخذون
للفتي من فتيانكم مؤدباً ، وشيخكم والله محتاج إلى خمسة مؤدبين ! فسر ذلك عبد
الملك ، وكان عازماً على أن يخلمه ويهقد لابنه الوليد (٢) .

وإذا صحت هذه الرواية كانت وفادة نصيب على عبد العزيز في أواخر أيامه بمصر ،

عندما كاتبه عبد الملك لينزل عن ولاية العهد لابنه الوليد^(١) .
ولكن أخبار نصيب مع عبد العزيز تشير إلى أنه مدحه أكثر من مرة ،
ووفد عليه أكثر من مرة ، وأنه أمره في أول خروجه إليه أن يرجع إلى مواليه
فيشتري نفسه ثم يعود . ففعل .

ومن طريف الروايات ، وأدخلها في باب انقصاص^(٢) أنه كان يرعى إبلاً لمواليه
فأضل منها بغيراً ، فخرج في طلبه حتى أتى الفسطاط ، وبه إذ ذاك عبد العزيز بن
مروان ، فرآه أهلاً لحاجته ، فاستأذن عليه ، وأخبر الحاجب أنه قد هبأ له مدحاً . فلما
أخبر الحاجب عبد العزيز بسواده ، ورغبته في المديح ، ظن أنه ممن يهزأ به ويضحك
منه . فقال للحاجب : *مره* بالحضور ليوم حاجتنا ، ففدا نصيب وراح إلى باب عبد العزيز
أربعة أشهر ؛ وأتاه آت من عبد الملك فسرره ، فأمر بالسريز فأبرز للناس ، وقال :
عليّ بالأسود ، وهو يريد أن يضحك منه الناس ، فدخل ، فلما كان حيث يسمع
كلامه قال :

لعبد العزيز على قومه	وغيرهم نِعَمٌ غامره
فبأبك ألين أبوابهم	ودأرك مأهولة عامره
وكلبك آنسُ بالمعتفين	من الأم بالإبنة الزائر
وكفك حين ترى السائل	ن أندی من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنى الثناء	يكل مُحَبَّرَةً سائر

فقال : أعطوه أعطوه ، فقال : إني مملوك ، فدعا الحاجب فقال : أخرج فأبلغ
في قيمته ، فدعا القومين ، فقال : قوموا غلاماً أسود ليس به عيب ، فقالوا . مائة
دينار . قال : إنه راع للابل يبصرها ويحسن القيام عليها . قالوا : حينئذ مائتا

(٢) الأغاني ج ١ ص ٣٣٣ .

(١) ص ٩١ من هذا الكتاب .

دينار، قال: إنه يرى القيسي ويشفقها ، ويرى النبل ويريشها . قالوا : أربعمائة دينار .
قال : إنه راوية للشعر بصير به ، قالوا ستمائة دينار . قال : إنه شاعر لا يلحق ، حدقا .
قالوا : ألف دينار ، قال عبد العزيز : ادفعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير ، ممن
بعمري الذي أضلت . قال : وكم ثمنه ؟ قال : خمسة وعشرون ديناراً ، قال
ادفعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير . جازتني لنفسي عن مديحي إليك . قال :
اشتر نفسك ، ثم عد إلينا .
وقد فعل ، وعاد إليه لدحه .

هذه قصص عن وفادة نصيب ، أو روايات ممتدة ، وليس يضير هذا
الكتاب أن يطول الحديث فيه عن وفادة نصيب ، ففي كل قصة منها من الإمتاع
والطرافة ما يجعل روايتها لازمة للتسلية والسرور .
وهي تتصل بموضوعنا من قريب ، وفيها من الدلائل النافعة لمؤرخ الأدب
والمعقب عليه ما يجعل روايتها واجبة .
وانظر إلى هذه الوفاة كما تقدمت ، تجد :

- ١ — أن عبدالعزيز كان مقصد الشعراء ، وكان « مُمَدِّحًا » يفد عليه الشعراء
لدحه ، وأخذ جوائزهم .
- ٢ — وأنه كان أديباً ناقداً راوية ، وحوله رواة ، فلا يستطيع منتحل أن
يحظى عنده .
- ٣ — وأن الشعراء الناشئين كانوا إذا رغبوا في الرحلة إليه — أو إلى غيره
من الأمراء الأدباء — اختبروا شعرهم قبل مقدمهم على هؤلاء الأمراء ، فكان
خوفهم داعياً إلى الحرص على الإجابة .
- ٤ — وأن الشعراء كانوا يتنافسون ، لما يعرفونه من الشهرة المنتظرة ، والخير

المرتقب لمن ينال ثقة أمير أو خليفة . وكان كل منهم يطمع أن يكون صاحب المنزلة الأولى .

٥ — وما كان الشعراء يجدون بأساً في الطلب من الأمراء ، إذ كان عطاء الأمراء جزيلاً ، يعنى من فقر ، ويرفع من ضمة .

٦ — وكان الشعر تاريخاً يسجل حوادث عصره في بعض نواحيه ، وإن كان تاريخاً متهماً بالميل مع الهوى ، والقول كما ترغب السياسة .

وكانت نعم عبد العزيز غامرة على نصيب وعلى غيره ، وقد أبطأت جائزته عند عبد العزيز يوماً ، فقال :

وإن وراء ظهري يابن ليلي أناساً ينظرون متى أوبُ
أمامة منهم ولما قيئها غداة البين في أئري عُروب^(١)
تركت بلادها ونأيت عنها فأشبهه ما رأيتُ بها السُّلوب^(٢)
فأتبع بعضنا بعضاً فلَسنا نُثيبك ، لكن الله السُّيبُ
فمجل جائزته وسرحه .

وكان يرحل إليه كل عام فيجيزه ويحسن صلته ، فقال نصيب^(٣) .

يقول فيحسن القول ابن ليلي ويفعل فوق أحسن ما يقولُ
فتى لا يرزأ الخلان إلا مودتهم ، ويرزؤه الخليل
فبشّر أهل مصر فقد آتاهم مع النيل الذي في مصر نيل

(١) ماقى العين = حرفها الذى بلى الأنف ، والغروب = الدموع حين تخرج من العين ، واحداً عرب .

(٢) الظبية السلوب والسالب ، التى سلبت ولدها ، والمراد أن أمانة كثيرة البكاء والدمع ، كالظبية التى فقدت ولدها .

(٣) الأغاني ج ١ ص ٣٥٢

ومدح نصيب ليس تقليداً ، إذ أنه نتيجة تجربة خاصة في التصيدة التي استعمل فيها المطاء ، فأثار المطف ، بذكر أولئك الذين تركهم ينظرون متى يثوب ، وبالحدِيث عن بكائهم من أجل فراقه ، ولكن الصورة عربية لجمالاً ودماً ، وبخاصة في تشبيه أمانة بالظبية التي سلبت ولدها فلا تزال تبكيه حتى يعود .

وفعل نصيب ما فعله أيمن في مدح عبد العزيز ، فمدح « ابن ليلي » بالكرم ، وأنه يفعل فوق أحسن ما يقول . ولكنه رأى النيل بمصر وأحس به ، فخرج عن الطريقة التقليدية في تشبيه الكرم بالبحر ، وشبه عبد العزيز بالنيل ، وبشر به أهل البلاد .

ومرض عبد العزيز فاستأذن عليه نصيب ، فلأذن له : فقال يدعو له بالشفاء ، ويفديه لو كان يُقبَلُ الفداء :

ونزور سيدنا وسيدا غيرنا ليت التَّشكىَّ كان بالعُوادِ
لو كان يقبلُ فديةً لفديته بالمصطفى من طارفي وتلادى

فلما سمع عبد العزيز شعره ، فتح عينيه ، وأمر له بألف دينار^(١) .

وحفظ نصيب معروف عبد العزيز ، وأثنى عليه حياً وميتاً . فإن عبد العزيز مات في طاعون حل بمصر سنة ٨٦ هـ ، وكان موته بقرية يقال لها « سُكَّر » خرج إليها فراراً من الوباء ، فقال نصيب يرثيه^(٢) :

أصبت يوم الصعيد من « سُكَّر » مصيبةً ليس لي بها قبيل^(٣)

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٢٣٧

(٢) الأغاني ج ١ ص ٣٦٠

(٣) « سُكَّر » مدينة من مدن الإطفيحية ، تجاهها واد به إلى وقت المقيزي ، جل من الحجر ، « المخطوط ج ١ ص ٣٣١ » . ونسب هذا البيت إلى كثير في رثاء غير عبد العزيز - الولاة والقضاة ص ٦٦ «

تالله أنسى مصيبتى أبداً ما أسحمتنى حينها الإبلُ
ولا التَّبَكِّيُّ عليه أَعْوَلُهُ كلُّ المصياتِ بعده جَلَلُ (١)
لم يعلم النَّعْشُ ما عليه من الـ مُرْفٍ ولا الحاملونَ ما حملوا
حتى أَجَنُّوه في ضَرِيحِهِمْ حينَ انتهى من خَلِيلِهِ الأملُ
وسأله عبد الملك أن ينشده بعض مارثى به أخاه عبد العزيز ، فأنشده
هذه القصيدة (٢) :

عرفتُ وجربتُ الأمورَ فما أرى كإضِّ تلاءُ الغابرُ المتأخرُ (٣)
ولكنَّ أهلَ الفضلِ من أهلِ نعمتى يمرُّونَ أسلَفاً أمايَ وأغبرُ
فإن أبكهُ أَعذَرَ ، وإن أُغلبَ الأسيَّ
بِصَبْرٍ فشلى عندما اشتدَّ يَصِيرُ
وكانت رِكابِي كما شئتُ تَدتحي إليك ، فتقضى نحبها وهي ضَمَّيرُ
ترى الوردَ دُيُسرًا ، والثواءَ غنيمَةً لديك ، وتُنشئني بالراضحين تصدُرُ
فقد عَيرتُ بعد ابنِ ليلي ، فإنما ذراها لمن لاقتُ من الناسِ مَنظرُ
ولو كان حيًّا لم يزل يدُفوفها جَمْرَادُ لغربانِ الطريقِ ومنقَرُ (٤)
فإن كُنَّ قد نلنَ ابنَ ليلي فإنه هو المصطفى من أهله المتخَيَّرُ

وإذا كان في القصيدة الأولى أثر الحسرة والبكاء على عبد العزيز ، فإن القصيدة الثانية تميل إلى الحديث عن آثار نعمته على نصيب ، وما كان يعطيه من مال ، وما كان لنصيب من رحلات كثيرة إليه أهزلت راحلته ؛ وتذكر أنه كلف عن ذلك.

(٢) الأغاني ج ١ ص ٣٦١
(٤) الدفوف جمع دف وهو الجنب .

(١) جلال = صغيرة .
(٣) الغابر = الباقي .

وأراحها بعد موته ، لأنه لم يعد هناك من يقصده من المدوحين ، وأخيراً يمدح « ابن ليلي » بأنه المصطفى من أهله والمختار منهم . فيذكره منسوباً إلى أمه لعله يرضيه بهذه النسبة ميتاً كما كان يرضيه بها حياً .

ولما سمع عبد الملك قوله :

فإن أبك أعذر ، وإن أغلب الأمي بصبرٍ فثلى عندما اشتد يصبر

قال له : ويلك ! أنا كنت أحق بهذه الصفة في أخي منك ! فهلا وصفتني بها !

وجعل يبكي .

وحفظ نصيب جميل مولاه ؛ فبكاه ورثاه أكثر من مرة ، وروى له الكندي قصيدة في رثائه ورثاء ابنه الأصبع الذي توفي قبله بشهرين^(١) ، ومنها :

هما أخوأي الصالحان توالياً بمحمد فهدياً للفراق أخاها

جزى خير مولى موليّ موليّ ، ولا جزى من الناس خيراً من أحب رداها

ولا أدري من أين جاءت هذه الأخوة بين نصيب وبينهما ، وكيف اجترأ

على تلك المنزلة ؟ ولقد عرّض ؛ ودعا على من أحب رداها ؛ ولا أظنه كان يقصد عبد

الملك أو ابنه الوليد ، فليست به حاجة إلى عداوتهما بعد موت عبد العزيز ،

وليس في قدرته أن يعاديهما ، وهو يأمل فيهما الخير والمطاء الجزيل .

٣ — ابن قيس الرقيات :

وهو شاعر ممدوح ، أراد يوماً أن يكون له مبدأ ، فوالى ابن الزبير في سلطانه

ثم دار الزمان ، وصار الأمر لبني أمية ، فلفظته البلاد إليهم ، وتشفع بابن جعفر لديهم

فمفا عنه عبد الملك وقبل مدحه . وله عليه بعض النقد ، والمآخذ المشهورة .

ومما يَسَّرَ لابن قيس الرقيات موالاة بني أميه ، وهونه على نفسه ، أنه كان يؤمن بقريش ؛ وهؤلاء منها في المحل الأرفع ، وأعلام قدرأ هو عبد الملك .

ووفد على عبد العزيز بمصر فدحه ، وامتاز على غيره من مادحيه بالحديث عن بعض المناظر في مصر ، وربما كان الباقي من شعره في الوصف أكثر من أي

شاعر آخر في عهد بني أميه على قلته ومن قصائده المشهورة في مدحه قصيدته البائية^(١)

لم يَصْحُ هذا الفؤادُ من طَرَبِهِ وَمَيْلِهِ في الهوى وفي لَعْبِهِ

أهلاً وسهلاً بمن أتاك من الرُّ رقة يَسْرِي إليك في سُخْبِهِ^(٢)

باتت بحلوان تبتغيك كما أرسلَ أهل الوليد في طَلْبِهِ

فدلهما الحب فاشتقيت كما تشنفي دماء الملوك من كَلْبِهِ^(٣)

وفي هذه المقدمة كثير من الالتفات والانتقال كالحديث عن فؤاده ، وعن خيال المحبوب ثم مخاطبة نفسه ، ثم الحديث عن تلك التي باتت بحلوان تبتغيه ودلهما الحب عليه . ولا شك أن هذا الالتفات أحدث غموضاً في الأبيات مجتمعة .

ثم يقول في وصف حلوان ونخلها :

سَقِيًّا لِحَلْوَانَ ذِي الكرومِ وما صُنِّفَ من تينهِ ومن عنبِهِ

نخلٌ مَواقيرُ بِالْفِئَاءِ من الـ بَرْنِيٍّ ، غُلْبٌ ، يَهْتَرِي شَرَبَهُ^(٤)

أَسْوَدُ سَكَّانِهِ الحَمَامِ فما تَنفَكُّ غِرْبَانُهُ على رُطْبِهِ

(١) ديوان ابن قيس الرقيات ص ٨١

(٢) جمع سخاب بكسر السين وهي قلائد من الزهر وفسرها في الديوان بأنها ضرب من الثياب والحلى .

(٣) الكلب : داء يصيب من عضه الكلب المسعور ، وعند العرب لا يبرأ المكلوب حتى يسقى دماء ملك شريف .

(٤) مَواقير : مثقلة . والبرني : التمر . الشرب : حوض حول أصل النخلة فيه ماء يسقيها . غلب : جمع غلباء ، وهي النخلة المتكاثفة الكثيرة السعف .

وقد كانت حلوان عامرة في أيام عبد العزيز ، وكانت جديرة بأكثر من قصيدة
في وصفها والحديث عن عمارتها ، ولكن ابن قيس جاء مادحاً للامير ، وكفاه
هذه الأبيات الثلاثة في الوصف .

ثم يبدأ المدح فيقول :

أثنِ على الطيب ابنِ ليلي ، إذا
من يصدق الوعد والقتال ، ويخ
ومن تفيضُ الندى يداه ، ومن
أمك بيضاء من قضاة في ال
وأنت في الجوهر المهدب من
يخلفك البيض من بنيك كما
ليسوا من الخروع الضعيف ولا

أثنت ، في دينه وفي حاسبه
شي الله في حله وفي غضبه
ينتهب الحمد عند منتهبه
بيت الذي يستظل في طنبيه
عبد مناف ، يداك في سبيه^(١)
يخلف عود النضار في شعبيه
أشياء عيـدانه ولا غـرـبه

وابن قيس ينوع في مدحه ، فيمدح عبد العزيز بالدين والحسب والشجاعة ،
والوفاء ، وخشية الله في الحلم والغضب ، وبأنه رجل كريم كل أفعاله محمودة . وبأن
أمه بيضاء ، وأصلها ثابت ، وملجأ للناس ؛ وأن آباءه كرام الأصل ، فهو من
عبد مناف ، وفي الجوهر المهدب منهم . أما أبناؤه فليس فيهم خور ولا ضعف ،
بل إنهم صلاب شداد . وهذه الصفات الكثيرة التي تضمنتها هذه الأبيات القليلة
قد صيغت صياغة جميلة ، فجاءت أبياتها سائفة عذبة ، ليس فيها شيء من الضعف الذي
تحس به عند خروج الأدب إلى السرد والتعداد .

أما قصيدته القافية^(٢) في مدح بني أمية عامة ، ففضلهم على قوم لم يعينهم

(١) في سببه : مستمسكة به ، والضمير للجوهر أو البيت .

(٢) الديوان ص ٢٦٤

فيها ، ولم يعينهم ظرف هذه القصيدة كما رواه الديوان والمؤرخون .

وقال ابن قيس الرقيات في ذلك :

لَحَىٰ مِنْ أَمِيَّةٍ لِيَدِ سِ فِي أَخْلَاقِهِمْ رَنَقُ
يَكُونُ لِحَابِطِ الْمَعْرِ فِ فِي وَاذِيهِمْ وَرَقُ
أَحَبُّ إِلَىٰ مَنْ قَوْمِ إِذَا مَا أَصْبَحُوا نَعَقُوا

وقد كان موسى بن نصير والياً على المغرب لعبد العزيز ، ففتح الله عليه الفتوح بالمغرب . وخرج عبد العزيز إلى الإسكندرية للمرة الثالثة سنة ٨١ ، وخرج معه إليها وجوه الناس من الأشراف والشعراء . ووصف ابن قيس عودة الركب كله ؛ وخص السفن المصعدة في النيل إلى حلوان جماعات ، من قرية الكير يون قرب الإسكندرية وأشار إلى ما كانت تحمله من أنواع الحرير والحز ونمل الأرجوان . وختم ذلك بمدح عبد العزيز بن ليلى . قال :

غَدُوا مِنْ مَدْرَجِ الْكِرْيُونِ نِ حَيْثُ سَفِينُهُمْ حَزُقُ (١)
كَمَا يَفْعُدُو نِشَاصٌ مِنْ سَحَابِ الصَّيْفِ مَنْطَلِقُ (٢)
فَلَمَّا أَنْ عَلَوْنَ النِّيْلَ لُ وَالرَّايَاتُ تَحْتَفِقُ
رَأَيْتُ الْجَوْهَرَ الْحَكِيمِ يَ وَالذِّي يَجَ بِأَتَلِقُ
وَحَزَّ السُّوسِ وَالْإِضْرِبِ جَ فَصَلَ بَيْنَهُ السَّرَقُ (٣)
وَحَمَلَ الْأَرْجُوانَ عَلَى السَّ فَمِنْ كَأَنَّهُ الْمَلَقُ
سَفَانٌ غَيْرَ مُقَلَّمَةٍ إِلَى حَلْوَانَ تَسْتَبِقُ

(١) حزق : جماعات .

(٢) نشاص : (بفتح النون وكسرهما) مرتفع ومتراكم .

(٣) أنواع من الحرير جىء بها من بلاد المغرب ، بلاد السوس على شاطئ المحيط

الأطلسي في مراكنش . والسرق = شقق من الحرير الأبيض .

ثم يفتنى على حلوان ، وما ارتفع قدرها إلا بعبد العزيز ، فيقول :
محلٌّ ، من يحل به لذيدٌ عيشُهُ ، غَدَقُ
يحل به ابن ليلي والذ دى والحلم والصديقُ
تكون جفانه رذُما فصبوح ومفتبِقُ^(١)
إذا ما أزحفت رُفق أت من دونها رُفق

ومن مدائح في عبد العزيز قصيدته الميمية التي مطلعها :

طرقته أسماء أم حلما أم لم تكن من رحالنا أمما
أما أول المدح فهو قول لا تراح إليه النفس ولا يهدأ عنده القلب ؛ لأنه أشبه
بالرثاء . ولا يخفف منه الاستثناء الذي جاء به في البيت ، يقول :

فَجُمْتُ بِالْفُرِّ مِنْ أُمِّيَّةَ حَا شَى وَاحِدًا نَجْتَلِي بِهِ الظَّلْمَا
أعنى ابن ليلي عبد العزيز بيا بِلِيلِيُونَ تَغْدُو جَفَانُهُ رُذْمًا^(٢)
يلتفُّ الناسُ حَوْلَ مِنْبَرِهِ إِذَا عَمُودُ السَّبْرِيَّةِ انْهَدَمَا
مُجَرَّبُ الحَزْمِ فِي الْأُمُورِ ، وَإِنْ خَفَّتْ حُلُومٌ بِأَهْلِهَا حَلْمَا
يَنْتَهَبُ الحَمْدَ بِالْيَدَيْنِ كَمَا نَاهَبَ فَرَسَانُ غَارَةَ نَعْمَا
أَغْرًا ، أَشْيَاخَهُ المَصَاةُ ، بَنُو أُمِّيَّةَ ، المرغُمُونَ مِنْ رَغْمَا^(٣)
أَشْيَاخِ صَدِيقٍ كُنُوا بِمَتَلَجِ ال بَطْحَاءِ كَانُوا لِقَوْمِهِمْ عَصَمَا
نَالُوا مَوَارِيثَ مِنْ جَدُودِهِمْ فَوَرَثُوهَا مَرَوَانَ وَالْحَكْمَا

(١) رذما ممتلئة تفيض جوانبها من الشحم .

(٢) الديوان ص ٢٥٥

(٣) بالليون : حصن بناه الفرس ، وما زالت آثاره باقية إلى الآن جنوب القسطنطينية ، واسمه عند العرب قصر الشمع .

أهل الحِمالات والدَّسِيمَةِ وال
اخْتَرْتُ عبد العزيز مرَّافِياً
من البهاليل من أَمِيَّة ، يز
لا يحسب المدحة الخداع ، ولا
جاءت به حُرَّةٌ مهذبة
مُفْتُونٌ عند الشدائد البَهَمَا (١)
والله للمرء خيرٌ من قَسَمَا
داد إذا مامدحتُه كَرَمَا (٢)
يُدْرِكُ تياره إذا التظا
كلبية كان بيتها دعما
وتدور معاني المدح عنده في دائرة المتعارف المتفق عليه من صفات الفضل
والكرم في الفرع والأصل ، كما كانت عند أكثر شعراء ذلك العصر .

٤ - عبد الله بن الحجاج (٣) :

شاعر آخر من مادحى عبد العزيز وهو شاعر فاتك شجاع ، من معدودى
فرسان مضر ، ذوى البأس والنجدة فيهم ، خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك ،
فلما قتل عمرو وخرج مع نجدة بن عامر الحنفي ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير
حتى قتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً ، واحتال عليه حتى أَمَّنَه .
ورحل إلى عبد العزيز ، ومدحه بمصر .

يقول أبو الفرج (٤) : « ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي : قال :
وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه ، فأجزل صلته ، وأمره
بأن يقيم عنده ، ففعل ، فلما طال مقامه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله ، فاستأذن
عبد العزيز فلم يأذن له ؛ فخرج من عنده غاضباً ، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشر
أن يمنعه عطاءه ، فمنعه ، ورجع ابن الحجاج ، لما أضرَّ به ذلك ، إلى عبد العزيز ،
وقال بمدحه ويعتذر :

(١) الحِمالات جمع حمالة بفتح الحاء = الدية يحملها قوم عن قوم . الدسيمة =

العطية العظيمة . البهم جمع بهمة ، وهي صفار الضأن والمعز والبقر .

(٢) البهاليل جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير .

(٣) الأغاني ج ١٢ ص ٢٤

(٤) شرحه ص ٢٩

تركت ابن ليلي ضلّةً وجريئةً وعند ابن ليلي مَعْقِلٌ ومَمَوَّلٌ
ألم يَهْدِنِي أَنْ الْمَرَاغَمَ وَاسِعٌ وَأَنْ الدِّيَارَ بِالْمَقِيمِ تَنْقَلُ (١)
سَأُحْكِمُ أَمْرِي إِذْ بَدَأَ (٢) لِي رُشْدُهُ وَأَخْتَارُ أَهْلَ الْخَيْرِ إِنْ كُنْتُ أَعْقَلُ
وَأَتْرِكُ أَوْطَارِي وَالْحَقُّ بَأَمْرِي نُحَلِّبُ كَفَّاهُ النَّدَى حِينَ يُسَالُ
أَبْتُ لَكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ مَا تَرُ وَجَرِي شَأَى جَرِي الْجِيَادِ، وَأَوَّلُ
أَبِي لَكَ ، إِذْ أَكْتَدُوا ، وَقَلَّ عَطَاؤُهُمْ ،
مَوَاهِبُ فَيَاضُ وَمَجْدٌ مُؤَثَّلُ (٣)
أَبُوكَ الَّذِي يَنْمِيكَ ، مَرَوَاتُ ، لِلْعَلَا
وَسَمَدُ الْفَتَاةِ الْخَالُ ، لِأَمْنِ يُخَوَّلُ

فقال له عبد العزيز : أما إذ عرفتَ موضعَ خطائك واعترفتَ به ، فقد
صفحتَ عنك . وأمر بإطلاق عطاءه ، ووصله ، وقال له : أقم عندنا ما شئت ،
أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت .

• - كثير وجميل :

ووفد عليه كثير بمصر مراراً . وروى أنه كان قصيراً لا يزيد طوله على ثلاثة
أشبار ، وكان إذا دخل على عبد العزيز يمازحه ويقول له : « طأطيء رأسك
لا يصيبه السقف » . ويقال إنه دخل عليه يعوده في مرضه وأهله يتمنون أن
يضحك . فلما وقف عليه قال : « لو أن سرورك لا يتم إلا بأن تتسلم وأستقم ،
لدمعت ربي أن يصرف ما بك إلي ، ولكنني أسأل الله تعالى لك العافية ، ولي في

(١) المرغام = الطريق ، يراغم الرجل أهله بسلوكه . أي يفارقهم على رغم أنوفهم .

(٢) رويت « أو » في الكندي ، وأظنها « إذ »

(٣) شأى = سبق . أكدي = قطع عطاءه وأمسك خبره .

كنفك النعمة » . فضحك عبد العزيز وسرَّ أهله^(١) .
وهو شبيه بما قاله نصيب له عندما زاره وهو مريض^(٢) .

وأما جميل بن معمر^(٣) فقد أشار في قصيدته الدالية إلى رحلته إلى مصر ،
وإلى تحسر بثينة على فراقه عندئذ ، فقال :

وما أنس مِ الأشياء لا أنس قولها وقد قرَّبت نضوي ، أمصر تريد؟
وكان قدوم جميل إلى مصر لادح عبد العزيز بن مروان ، وإن كانت شهرته في
الغزل غالبية ، وأذن له عبد العزيز ، وسمع قصائده ، وأحسن جائزته . وسأله عن
حبه لبثينة ، وأمره أن يقيم معه في مصر في منزل أعدده له . ولم يلبث جميل إلا
قليلاً حتى وافته منيته بمصر سنة ٨٢ هـ . ونمى نفسه قبل موته فقال :

بكر النميُّ وما كنى بجميل وثوى بمصر نواءَ غير قُفول
قومي بثينة فاندبى بهـويل وابكى خليلك قبل كل خليل
وليس غريباً أن يحى ، هذان الشاعران إلى مصر كما جاء غيرهما ، حيث النعم
الغامرة ، والمطاء الجزيل ، والتقدير الصحيح للأدب ، والتذوق السليم لشعره
ونثره وأخباره .

وهذه المدايح التي تقدمت في عبد العزيز متشابهة المعاني والصفات ، مثل
كرم الأصل والفرع ، وعلو النفس ، والسخاء ، والجود ، وحسن القول والفعل ،
وقد يُمدح بالدين والملك .

ولكن لكل من هؤلاء الشعراء فنه وطريقته في التعبير وأسلوبه الذي يميزه
عن غيره . من أجل هذا ظهر كل منهم مستقلاً عن غيره ، متميزاً في فنه وطريقته :

(١) الأغاني ج ٨ ص ٢٧ ، زهر الآداب ج ٢ ص ١٦٩

(٢) ص ١٤٤ من هذا الكتاب .

(٣) الأغاني ج ٧ ص ٧٩ ، ص ١٠٣ . حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٣٢٢

يقرأ القارىء شعر الواحد منهم فيشعر بجدة وتنوع واستقلال ، بل إن قصائد الشاعر الواحد ترك مثل هذا الشعور عند القارىء ؛ بسبب مهارة أولئك الشعراء وحسن تصرفهم في التعبير ، ومقدرتهم على إظهار المعاني في صورة تزيينها موسيقى الألفاظ ، وجمال النغم ، وحسن النظم .

وكثر رثاء عبد العزيز كما أكثر مدحه ، بل إن فيمن رثوه قوماً لم نسمع بمدحهم له : ومن هؤلاء ذو الشامة ، محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبه بن أبي معيط ، وقد رثاه ورثى ابنه الأصمغ الذي توفي قبله بشهرين قال (١) .

فما مصرُ لي بمد عبد العز يز والأصمغ الخير بالموتقنه
سقى الله قبريهما ، والصدى وماجا ورا ، ديمة مفدقه
فإن تك مصر أشارت بها إلى الشر يوماً يد موبقه
فقدماً تقر بمصر العيون ن في لذة العيش محدودقه

ورثاها سليمان بن أبي حدير الأنصاري ، ومن ذلك قوله في عبد العزيز (٢)

فن ذا الذي يبني المكارم والملا ومن ذا الذي يهدى له بمدك السفر
فكنت حليف العرف والخير والندی فتن جميعاً حين غيبك القبر

ولقد كان عهد عبد العزيز أزهى عصور الشعر في عهد الولاة ؛ وكانت شخصيته أكبر مشجع على وفادة أولئك الشعراء ، فلما قل العطاء قلت الوفادة أو انقطعت ، ولم نعد نسمع بها إلا قليلا . وقد يكون ذلك من الأسباب التي هيأت الفرصة فيما بعد لظهور الشعراء المقيمين ، ولعناية الرواة بشعرهم .

(ح) من عبد العزيز إلى العباسيين .

وروى لنا شعر عربي في مصر بعد عبد العزيز بن مروان ، بعضه قادم من بلاد أخرى للمدح ، وبعضه مصري الدار والحوادث والمناسبات ، ولكنه في جلته شعر ضعيف مقتضب محرف ، احتفظت به كتب التاريخ استشهاده على حادثة ، أو تأييداً لخبر ، أو دليلاً على صدق رواية ، أو بياناً لخلق أحد من الولاة ، أو رثاء لشهيد ؛ أو شبه ذلك مما يهيم المؤرخ أن يشير إليه ، ويؤيده بالدليل الأدبي من شعر أو نثر . ولا نسمع بشاعر قدم بعد عبد العزيز إلا بالحزين الكنانى ، الذى جاء إلى مصر لمدح واليها الجديد عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وليس عبد الله غريباً علينا بعد ما قدمنا من فضله في نقل الديوان إلى اللغة العربية^(١) .

وأما الحزين الكنانى مادحه^(٢) فقد اختلف فيه ، فقبيل عربي وقيل مولى ، واختلف في أخلاقه ، فقبيل شاعر متكسب ، ينتجع الولاة والأمراء ، يمدح على العطاء ، ويهجو على الحرمان . وقيل إنه لم يبرح الحجاز . واختلف في شعره ؛ فنسب إليه ونسب إلى غيره ، ومن هذا الشعر قصيدة قبيل إنه قالها في مدح عبد الله بن عبد الملك ، وارتحل بها إليه في مصر ؛ وقد بدأها بالحديث عن تنقله في البلاد فقال

الله يعلم أن قد جُبْتُ ذَا يَمَنٍ ثم العراقي لا يَثْنِينِي السَّامُ
ثم الجزيرة أعلاها وأسفلها كذاك تسرى على الأهوال بي القدم
ثم المواسم قد أوطأها زمناً وحيث تُتَخَلَّقُ عند الجرة اللَّمَمُ
قالوا دمشق يُنَبِّيك الخبير بها ثم انتِ مصر فمِ النَّائِلِ العَمَمُ

ثم ينتقل إلى المدح ، ويتحدث عن ممدوحه فيقول :

لما وقفت عليه في الجوع ضحى وقد تعرَّضتِ الحجاب والخدَمَ
حيثه بسلام وهو مُرْتَفِقٌ وضجَّةُ القومِ عند الباب تزدحم

(٢) الأغاني ج ١٤ ص ٧٦

(١) ص ٩٢ من هذا الكتاب

في كفه خيزران ريمه عبقُ من كف أرواع في عمر نينه شمُ
يُفضى حياءً ويُفضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يتسم
ترى رؤوس بني مروان خافضةً يعيشون حول ركابيه وما ظلموا
إن هش هشوا له، واستبشروا جَدلاً وإن هو آسوا إعراضه وجوا

وأرجح أن تكون هذه القصيدة لمدح عبد الله بن عبد الملك ، وأن شاعرها جواب آفاق منتجع ، دارت به الأيام حتى جاء إلى مصر حيث النائل العمم عند عبد الله . وهو يعرفه من قبل ، حينما ذهب إلى الحجاز ووصاه أبوه عبد الملك بالإحسان إليه ، ولكن من الرواة من يجعل هذه الوفاة على عبد العزيز والمدح له .

ومنهم من روى البيتين السابع والثامن فيها للفرزدق في مدح علي زين العابدين .

وقيل كثير من الشعر في هجاء عبد الله ، وذلك أن الطعام غلا في أيامه ، فتشام الناس واضطربوا ، فهجاء ابن أبي زمزمة ، فطلبه عبد الله ، فهرب ؛ وبلغ عبد الله أن القاضي عمران بن عبد الرحمن الحسني ، آواه . وبلغه كذلك أن القاضي قال شعراً يفخر فيه بنفسه وأهله ، وشعراً آخر يهجو فيه عبد الله ، فمزله وولى مكانه عبد الواحد ، حفيد معاوية بن حديج ، وكان شاباً ، إلا أنه كان عالماً فقيهاً . فقال عمران يهجو الوالي مرة أخرى (١) :

لما الله قوماً أمروك ، ألم يروا بأعطافك التخنيث كيف يُريبُ
أتصرفني جهلاً عن الحكم ظالماً ووليته عجزاً فتاة تجيب
تكلتُك من والٍ ، وأيضاً تكلتُهُ ألم يكُ في الناس الكثير يصيبُ
هكذا روى هذا الشعر ، وفي البيت الثاني منه هجاء غريب ؛ فقد جعل

القاضي الجديد « امرأة » ولم يسلم البيت نفسه من عيب فنى هو الإقواء ، إذ اختلفت حركة الروى فى « تجيب » وهو اسم قبيلة ، عن حركة آخر البيت الذى قبلها والذى بعدها .

وكان جزاء القاضى من عبد الله جزاء غريبا ، كما كان طريقا أيضا ، فقد أمر أن يقطع له قميص من قراطيس ، تكتب فيه عيوبه ، ويوقف للناس ، ولكن عبد الله صرف قبل أن ينفذ هذا العقاب .

وفى سنة ٨٨ هـ خرج إلى أخيه الوليد ، وكان الناس فى شدة عظيمة ، فقال زرعة بن سعد الله بن أبى زمزمة الحسنى :

إذا سار عبد الله من مصر خارجا فلا رجعت تلك الينغال الخوارج
أنى مصر والمكيال وافٍ مُفَرَّبِلُ فما سارَ حتى سارَ والمُدُّ فارِجُ
فأهدر عبد الله دمه ، فهرب إلى المغرب ، وكتب إلى الوليد .

ألا لآتته عبد الله عنى كما قد قال يجعلنى نكالا
ولم أستم لعبد الله عرضا ولم آكل لعبد الله مالا
ويظهر أن عبد الله لم يكن شرأ كله ، ولم يكن كل الناس يكرهونه ، فإن الوليد لما عزله ، وولى قرة بن شريك كتب إليه رجل من قریش :

عجبا ما عجبتُ حين أتانا أن قد أمّرت قرة بن شريك
وعزلت الفتى المبارك عنا ثم فئت فيه رأى أيبك

وفى ولاية عبد الله بن كنانة نزل الروم بتنيس سنة ١٠١ هـ ، وقتلوا أحمربن مسلمة المرادى أميرها فى جمع من الموالى ، وفى ذلك يقول الشاعر :

ألم ترَبَعُ فتخبرك الرجال بما لاقى بتنيس الموالى^(١)

وكتب يزيد بن عبد الملك إلى حنظلة بن صفوان أن يكسر الأصنام سنة ١٠٤
فكسرت كلها ومحيت التماثيل ، وكسر فيها صنم حمام زبّان بن عبد العزيز ، الذي
يقال له حمام أبي مرة ، وله يقول كَرِيبُ بن مخلد الجيشاني :

من كان في نفسه للبيض منزلة فليأت أبيضَ في حمام زبّان
عَبْلُ لطيف هضم الكشع معتدل على ترائبه في الصدر ثديان
وعرف الناس مكابيل مصر واطمأنوا إليها ، حتى كان عهد هشام بن عبد الملك (١)
فدعت بالمدى إلى مصر ، وأمرهم أن يتعاملوا به ، فقبله بعض الناس ، وأباه العافر ، وكسره
واحد منهم ثم قال . إن لنا وية وإردباً قد عرفناها ، ولسنا نحتاج إلى هذا .
وقال شاعرهم : يفتخر .

قوى الذين تبادروا مُدَى الخليفة بالحجر
وتحزبوا وتمصبوا وجتوا عليه فأنكسر
من بعد ما ذلت له أعناقُ يعرُب أو مضر

ولما استخلف هشام ولي يحيى بن ميمون بن ربيعة الحضرمي قضاء مصر ،
وكان كتابه متهمين بالرشوة ، وعرف بذلك فلم يعزل أحداً منهم ، وكان قد ولي عريفاً
من العرفاء أمر يقيم من قومه ، وتظلم اليتيم من العريف بعد البلوغ زماناً ، وجاء
ببينة من قومه ، فلم ينصفه يحيى ، فكتب إليه مسجلاً الحادثة بالشعر :

ألا أبلغ أبا حسان عنى بأن الحكم ليس على هوا كما
حكمت بباطل ، لم تأت حقاً ولم يسمع بحكم مثل ذا كما
وتزعم أنها حق وعبدل وأزعم أنها ليست كذا كما

ألم تعلم بأن الله حقيق وأنت حين تحكم قد يرا كما
فبلغه الشعر ، فسجن اليتيم ، فرفع أمره إلى هشام ، فعظم ذلك عليه ، وكتب
إلى الوليد بن رفاعه بصرفه^(١) .

وقال سميد بن شريح مولى تجيب يهجو حفص بن الوليد ، والى مصر لمروان
ابن محمد ، وكان سميد منقطعاً إلى زيان بن عبد العزيز بن مروان .

يا باعث الخيل تردى في ضلاتها من المقطم في أكفاف حلوان
لا زال بفضي ينمى في صدوركم إذ كان ذلك من حبي لزبان
وكان زيان بن عبد العزيز شديد التحريض على حفص بن الوليد حتى قتله
الحوثة بن سهيل الباهلي والى مصر لمروان سنة ١٢٨ هـ .

وقال مسرور الخولاني يرثي ويحذر :
فياك لا تجنى من الشر غلظة فتودى كحفص أورجاء بن الأشيم
فلا خير في الدنيا ولا العيش بعدهم فكيف وقد أضحو بسفح المقطم^(٢)

وقال ابن ميادة المري يحبذ فعل حوثة :

لقد سرتي ، إن كان شيء يسرتي مُفَارُ ابن هبار على بلخ والسفر

(١) ص ٣٤١

(٢) رجاء بن الأشيم : كان والياً على الصعيد لحفص بن الوليد في ولايته الثانية . زمن
يزيد بن الوليد (ص ٨٤ : الولاة والقضاة) ولما قدم حنظلة بن صفوان من إفريقية ، وولاه
مروان بن محمد ، أبى المصريون ذلك وثاروا . ومضى إليه رجاء بن الأشيم بالجيزة ، فأخرجه
إلى الحوف الشرق . ولما ولي حوثة بن سهيل لمروان بن محمد أمن أهل مصر . واستدعى
من دخل في الطاعة أن يقابله في رده . فغشى ذلك رجاء بن الأشيم ، وقال لحفص بن
الوليد : دعني أقف في جبل لأرى ما يصيبك . فأبى حفص . ثم ذهب إليه حفص ورجاء .
فقيدها ، ثم طلب رؤساء الفتنة فجمعوا له ، فقتلهم سنة ١٢٨ وفيهم رجاء بن الأشيم ، وعقبه بن
نعم الرعيني ، وعمرو بن يزيد الشيباني وفهد بن مهدي ، وابن السليط (ص ٩٠ الكندي)

وحوثة المهدي بمصر جياده وأسـيافه حتى استقامت له مصر
وقال مرسل بن حمير يبكي حفصاً وأصحابه :

يا عين لا تبقى من العـبرات جودي على الأحياء والأموات
يا حفص يا كهف المشيرة كلها وأخا النوال وسائر العودات
إما قُتِلتْ فأنت كنت عميدهم والكهف للأيتام والجارات
أودي رجاء ، لا كمثل رجائنا رَجُلٌ ، وعقبه فارج الكُـرَبات
وشبابنا عمرو وفهد ذو الندى وابن السليط وعامرُ الفارات
قُتِلوا ولم أسمع بمثل مصابهم سرواتُ أقوامٍ بئرو سروات

وقدم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية هارباً من جيوش العباسيين (يوم
الثلاثاء ٢ شوال سنة ١٣٢) فوجد أكثر الناس قد « سودوا » ؛ وأمر
بإحراق الدار الذهبية ، فقال له زبان بن عبد العزيز : إنها دار بني عبد العزيز ، وقد
أعظمت فيها النفقة . فقال مروان : إن أبق أبنا لبنة من ذهب ولبنه من فضة ،
وإلا ، فما تصاب به من نفسك أعظم . ثم دخل مروان إلى الجزيرة وحرق الجسرين ،
فقال عيسى بن شافع يبكي الدار الذهبية ، وهو شعر مليء بالحسرة ، على قلته :

يا طلالا أقوى وحل الـيلى منه لدى العلو وفي السُفل
قد كنت ممّنتي لعيون المـمّا وكنت مأوى لظبـاب الرمل
وكان أربابك ما إن لهم في الناس من نوع ولا شكل

وقتل مروان ببوصير من كورة الأشمونين ، ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٢ ،
ودخل صالح بن علي^(١) الفسطاط يوم الأحد لثمان خلون من المحرم سنة ١٣٣ .

ولهذه الأبيات الأخيرة قيمة في تاريخ الأدب ، لما فيها من اتجاه غير مألوف في الشعر ، وهو رثاء القصور التي أخنى عليها الزمن ، وبكاء الآثار التي تبدل عزها ذلاً ، وصار عامرها خراباً . ورأينا له صدى بعد ذلك في رثاء البحترى لإيوان كسرى ، وفي رثاء شعراء الطولونيين لمعانيهم ومصابهم ، وقصورهم وميادينهم ، وفي بكاء شعراء الأندلس على آثارهم التي أبادها الفاتحون الإسبان . وليس ذلك من نوع الوقوف على الأطلال والدمن الذي رأيناه في الجاهلية وبعدها ؛ لاختلاف الباعث ، وهو العظة والاعتبار في الأول ، وذكرى الأحباب في الثاني . وقد صار هذا الأخير تقليداً عند بعض الشعراء ، يروونه حتماً لازماً في أول القصائد : جرباً على الطريقة العربية القديمة .

هذا هو الشعر العربي في مصر زمن الأمويين ، وهو قسمان كما رأيت : قسم منه وافد زائر للمدح والثناء ، وأكثر ما بقى لنا منه ظهر في عهد عبد العزيز بن مروان ، وهو شعر طابمه التقليد في المعاني . أما الأسلوب فكان فيه استقلال وذاتية . والقسم الثاني شعر المقيمين ، وهو أقل ما بقى وأضعفه : وفيه كثير من التحريف والتبديل ، ولكننا نلمح في ثناياه استقلالاً في المعاني والأسلوب ، وفي رجاله استقلالاً في الرأي وحرية في التعبير والنقد ، فغلب عليه الهجاء واللوم . وليس في هؤلاء الشعراء شاعر محترف ، فكان هذا الشعر ، على قلته وضعفه ، نتيجة وحي خاص ، وشعور مستقل ، وتجارب ذاتية . وهو « شعر مناسبات » ، ولكنه من النوع الذي تثيره أحوال وظروف خاصة ، تؤثر في الشاعر ، فتطلق لسانه بالتعبير عما يملأ نفسه ، وليس من ذلك النوع الذي يقوله الشعراء للجاملات أو للشهرة ، بغير وحي من الشعور والماطفة .

وربما كان اتجاه هذا الشعر إلى الحياة العامة ، واتخاذه سجلاً للحوادث وتطورات التاريخ ، سبباً في ضياعه وعدم اهتمام الرواة به ، بجانب ضعفه وعجزه عن منافسة شعر الحجاز والشام والعراق ، الذي تجمعت له العوامل الفعالة للبقاء والشهرة ، أقواها السياسة .